الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط

التاريخ: ٢٤ شعبان ١٤٠٦ هـ

انطباعات عائد من بلغاريا

كيرجالا «جنوب بلغاريا» ـ خاص بـ «الشرق الاوسط»:

درجنا نحن المسلمين، حتى اصبحت فينا عادة، ان نهب ونضج إزاء مايلحقنا من حيف او ظلم او عدوان بعد فوات الاوان، ومثل هذا عليه شواهد في مناسبات عديدة وازاء قضايا لا حصر لها. وكفانا القدس والاقصى للدلالة لا للحصر. والضجة التي اقمناها في هذه الايام حول حملة تغيير الاسماء بين المسلمين في بلغاريا مثل آخر فقد انطلقت الوفود، والاتصالات على وشك ان تجري لوقف هذه الحملة ضد المسلمين في بلاد البلغار.

الواقع اننا بضجتنا هذه، نميل حيث الريح تميل، اي اننا كميزان قياس الحرارة، نرتفع وننخفض مع التقارير القادمة لنا من المصادر الغربية. وبرهان على ذلك اننا تحركنا لتونا لان التقارير اخذت تتوارد من بلغاريا، وبالذات في عاصمة الجنوب عن حملة تشنها السلطات لتبديل الاسماء وتغيير المعتقدات، ومنع الممارسات التي تحمل الطابع الاسلامي. واكثر من ذلك فاننا بدون وعي نردد ما تكتبه الوكالات والمصادر الاجنبية، بأن الحملة موجهة ضد الاتراك وأن عددهم حسبما تأتي به هذه المصادر ٩٠٠,٠٠٠ او مليون أو مليون ونصف وهكذا.

ازاء ذلك يجدر الاشارة الى ما يلي:

اولا: أن الذين يقال عنهم اتراك، هم في الحقيقة بلغار مسلمون، وأن الحملة موجهة اليهم ليس لانهم اتراك، بل لانهم مسلمون، ولو أن كونهم اتراكا هو السبب لشملت الحملة حسوالي نصف مليون تركي يقطنون في شمالي بلغاريا ولكنهم من النصارى منذ عهد الرومان.

وثانيا: ان الحملة شملت جميع المسلمين، واعني قبائل «البوماك» الذين هم بلغار اصلا، هذا اذا اردنا ان نعتبر الاصل.

وثالثا: ان الانسان الذي يقطن عشرة اجيال في بلد، لا احد يستطيع ان يشكك في ولائه وانتمائه لهذا البلد بعد مرور ٧٠٠ سنة على وجوده فيه، والذين يوصفون بالاتراك يقيمون في بلغاريا منذ ٧٠٠ سنة على الاقل، وهذه كافية ان تجعلهم بلغارا.

رابعا: انه لو تتبعنا أصول الفئات التي يتكون منها شعب بلغاريا الحالي، فانه لا يوجد بينها من هو بلغاري الاصل، لان بلغاريا لم تكن موجودة اصلا في التاريخ.. وإنما هم يعودون لاصول مختلفة منها سلافية وتركية ومقدونية.

خامسا: ان معظم شعب بلغاريا الحالي يعود اصلا للعرق التركي، وذلك منذ عهد ما قبل التاريخ عندما هاجرت قبائل تركية واقامت في المنطقة التي كانت تعرف باسم ترافيا، ودليل على

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ذلك ان هناك اتراكا مسيحيين منذ العهد الروماني، يقطنون حتى الان في بلغاريا الحالية.

سادسا: اذا كنا سنعتبر بعض الاختلافات اللغوية والعادات والتقاليد دلالة على الانتماء أو عدمه، فان يوغوسلافيا تتلون في ثماني قوميات. وجمهوريات الاتحاد السوفياتي تضم بضع عشرات من القوميات، والولايات المتحدة خليط من اقطار أوروبا كلها، والهند اناء تمتزج فيه فئات تتكلم ٣٠٠٠ لغة ولهجة ولها عدة ديانات، أما اختلاف العادات والتقاليد فانه ليس بقياس على اختلاف الانتماء، لانها قد تختلف من قرية لاخرى في البلد ذاته.

اذن، إن مشكلة المسلمين في بلغاريا ليست لانهم اتراك، أو لان انتماءهم للاتراك، أو يتحدثون اللغة التركية، وانما مشكلتهم تكمن في كونهم مسلمين والحملة موجهة ضدهم الان لانهم مسلمون، والا لكانت قد شملت الاتراك المسيحيين الذين يقطنون الشمال من بلغاريا.

حملات تبديل للاسماء

لم تكن حملات تبديل الاسماء حديثة العهد، كما انها في الحقيقة لم تقتصر على الاسماء فقط وانما شملت عناصر الحياة والممارسات الاسلامية جميعها. أما الحملة الراهنة التي اقمنا عليها الدنيا فانها الرابعة في سلسلة الحملات المشابهة.

من حيث الواقع فان الحملة ضد المسلمين بدأت بانتهاء الحرب التركية الروسية في نهاية القرن الماضي، ومعها انتهت السيادة العثمانية على بلغاريا.

وقد تمثلت هذه الحملة في الهجرة الجماعية أمام البطش الروسي بالمسلمين ومقتل أعداد كبيرة منهم، وعلى كل حال ان مثل هذا قد يحدث مع نشوب اية حرب وعادة ما يكون في الظروف والملابسات ما يبررها.

لكن الامور تبلورت بشكل واضح، وعن سابق تفكير في نهاية الاربعينات وذلك في الاعلان الصادر عن جودج ديمتروف رئيس الحزب الشيوعي البلغاري ورئيس الوزراء حينذاك ومما جاء فيه: «انه يجب ازالة جميع الظواهر والاثار التي بقيت من الحقبة العثمانية». وقد صدر على اثر ذلك قانون يقضي بتأميم المدارس التي كانت تدرس التركية والدين الاسلامي في ذلك العهد.

ولقد شنت حملة تبديل الاسماء الاولى عام ١٩٦١م، وكانت موجهة ضد المسلمين من الغجر، ثم جاءت الثانية عام ١٩٧٤ بين المسلمين من قبائل البوماتس، ثم جاءت الثالثة عام ١٩٨٤ بين المسلمين من الاتراك وها هي الرابعة استكمالا للحملة الثالثة.

تغيرات سكانية وثقافية

رافقت الحملات السابقة تغيرات واسعة في المجال الاقتصادي والثقافي والتعداد السكاني. وعلى سبيل المثال كان عدد المسلمين قبل الحرب الروسية ـ العثمانية عام ١٨٨٧، ١,٢٧٩,٥٤٦، انخفض هذا العدد في عام ١٩١٠ الى حوالي المليون، ثم زاد عددهم الى مليون ونصف عام ١٩٣٤، وبعد التأميم عام ١٩٤٩ تحول ٨٠٪ من المسلمين الى صغار الملاك، ولم يعمل في الصناعة والتجارة سوى ١٪ فقط.

وفي العهد العثماني كانت المدارس خاصة وعددهم ٢٣٠٠ مدرسة، دمر منها خلال الحرب الروسية ـ العثمانية ٧٠٠، وادخلت اللغة البلغارية الى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

جانب التركية وهبط عددها عام ١٩٤٠ الى ١٢٢٢، ثم اصبحت حكومية تحت سلطة الدولة الشيوعية منذ ١٩٥٠م.

وقد ركزت الحكومة على روضات الاطفال وذلك كوسيلة لغسل الافكار منذ الصغر، ويبدو هذا في الارقام التالية: عام ١٩٥٠و كان عدد الطلاب المسلمين في الروضات ٧٥٥ وعدد الروضات ٤٩٩٢ وقفز هذا العدد عام ١٩٦٦ الى ٦٥٧٠ روضة، فيها ٥٠,٠٠٠ من الاطفال المسلمين.

اسباب الحملات

هناك أسباب عديدة تقف وراء الحملة التي شنتها السلطات البلغارية، ومنها على سبيل الاستنتاج «جس النبض» لرد الفعل الاسلامي ازاء هذه الحملات حتى تعقبها اذا ما نجحت حملات مماثلة في بلدان شرقية اخرى. أما السبب الرئيسي الذي حدا بالسلطات البلغارية لشن الحملة فهو قطع الطريق على المسلمين للحصول على حكم ذاتي او ادارة ذاتية لهم، ومثل هذا تنص عليه المعاهدات التي عقدت بين تركيا وبلغاريا في اكثر من مناسبة، ومفادها ان هذا الحق يصبح قائما اذا اصبح التمثيل السكاني للمسلمين في بلغاريا حوالي ٢٥٪ واذا نظرنا للتعداد الراهن فانهم حوالي المليونين، وسكان بلغاريا كلهم حوالي ثمانية ملايين اي ان عدد المسلمين مجتمعين يمثل حوالي ٢٥٪ في الوقت الراهن.. وليس هذا فحسب بل ان نسبة التكاثر السكاني بين المسلمين تزيد بدرجة ملحوظة عن بقية الفئات الاخرى وهذا ما تعتبره السلطات البلغارية «قنبلة سكانية» قد تنفجر في اية لحظة.. وهذه الظاهرة ستكون موضع بحث في كلام لاحق عن مدينة كيرجالا التي كنا فيها.

وهناك سبب آخر لهذه الحملة، وهو التركيب الديمغرافي للمجتمع البلغاري

المسجد الوحيد المتبقي
في صوفيا وقد اغلق بالقفل

فعدد سكان بلغاريا حوالي ثمانية ملايين، منهم مليونان من المسلمين الاتراك والبوماك (ملاحظة: لقد اوضحت في البدء قضية التسمية وإنما اذكر ذلك لابين المفهوم السائد في بلغاريا ومعها في بلدان اخرى ويرد في التقارير الصحافية الاجنبية). وهناك اكثر من مليون من الغجر، وهؤلاء يشكلون قنبلة موقوتة بالنسبة لبلغاريا، فمعدل التكاثر بينهم عالية جدا، كما انهم يشكلون أعلى نسبة من جنسهم في بلغاريا اكثر من اي بلد آخر في العالم ومثل هذه الظاهرة تسبب ما يشبه «عقدة نقص» لدى البلغار لانهم يخشون من التندر عليهم بالقول بأن معظمهم غجر. واذا اعتبرنا الاجناس الاخرى من اتراك غير مسلمين ومن السلاف والمقدونيين والعرب فان المجتمع البلغاري يبدو من تركيبة مختلفة الاطراف. وهو ما يحاول البلغار طمسه بأية طريقة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية